



اللُّقمانيات التسع

جمع و إعداد
فريق البحث العلمي لدى مركز تدبر

قدم له

الدكتور محمد عبدالله الربيعة

المشرف العام على مركز النبأ العظيم بمكة المكرمة


٢



فريق البحث العلمي لدى مركز تدبر – سوريا –

لجنة البحث

وسيم تلاوي

أنس عليان

عبادة بوادقجي

لجنة التدقيق والمراجعة

أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

محمد موسى حمرين

أيمن عبد الحميد خطاب

د.محمد البدور

د.مفلح القضاة

لجنة التنسيق والتصميم

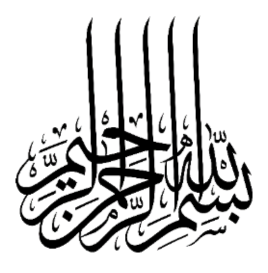
محمد العمر

أنس صبرة

أنس عليان

الإشراف العام

أيمن عبد الحميد خطاب مشرف مركز تدبر


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الدكتور محمد الربيعة

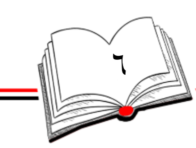
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم الأمة بكتابه، وفضلها على سائر الأمم بأفضل أنبياءه، حمداً يليق بجلاله وكماله، والصلاة والسلام على خاتم رسله وأنبياءه، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى آثاره واهتدى به.

وبعد:

لقد اطلعت على رسالة **(اللقمانيات التسع)** فوجدت فيها ما يثلج الصدر، بفوائد جُمعت من بطون أمهات التفسير متبوعة برسائل تزكية، تسمو بها النفوس وترقى بها الأرواح.

وهو عمل طيب مبارك حيث جُمع فيه أنفاس المفسرين -لكل آية من آيات وصايا لقمان الحكيم-ممن شُهد لهم بالعلم والصلاح، بطريقة سهلة مبسطة تُسّهل استقاء المعلومة وتُغني عن البحث في بطون المجلدات الضخمة، وإضافة الفريق العلمي لمركز تدبر لرسائل التزكية والأعمال التي هي خلاصة بحثهم ونتاج أفكارهم وتأملاتهم للآيات الكريمة، وهذه الرسالة تناسب مجالس التدبر التربوية في المساجد والأسر ودور القرآن.



وإن المنهجية المميزة لهذه الرسالة التي قام بها الفريق العلمي لمركز تدبر، تُصّدق ظننا بأهل الشام، أهل العلم والصلاح ولا نزكيهم على الله.

وأسأل الله أن يوفق الأخوة في مركز تدبر وأن ينفع بهم، ويكون عملهم منارة للأمة مساهمين في إحياء سنة تدبر كتاب الله عز وجلّ، لتعود الأمة متمسكةً بكتاب ربها وتسعد به سعادة الدارين.

د. محمد بن عبد الله الربيعة
عضو هيئة التدريس في جامعة القصيم قسم القرآن وعلومه
المشرف العام على مركز النبأ العظيم في مكة المكرمة



مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(آل عمرإن: ١٠٢.)، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(النساء: ١).، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(الأحزاب: ٧٠، ٧١.)

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن الله تعالى أكرم هذه الأمة بالقرآن الكريم الذي هو عزها، ومداد قوتها وشرف عظيم لبيان هويتها، فإن القرآن الكريم هو كلام الله المحفوظ بحفظه سبحانه على مر الدهور ، واختلاف العصور حفظًا في الصدور والسطور، وقد جاهد الرعيل الأول في حفظه وكتابته وجمعه ونسخه ليصل إلينا محفوظًا من التحريف والتغيير بمعونة الله ومشيئته، ومن هنا كان من أوجب الواجبات على الأمة المحمدية أن تعتني بقراءة القرآن قراءة المتدبر المتأمل فإنه من جد بذلك بنية صادقة وعزيمة صالحة كان الله له معينًا فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ (العلق: ٣). فليس عليك أيها العبد إلا أن تقرأ القرآن، وتتدبر آياته وتتأمل معانيه؛ لترى الفتح الرباني والكرم الإلهي الذي وعدك الله به، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (القمر: ١٧).، وإذا كان كل كتاب لا يخلو من فائدة، فإن كلام الله عز وجل كله فوائد وفرائد في كل آية من آياته، كما قال تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ



إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩). ، فمن تدبر الآية وجد الفائدة فكيف بسوره، بل كيف بأجمعه ومن أوجب الواجبات الشرعية الملقاة على أهل العلم وأهل القرآن خاصة، تبيان فوائد القرآن ونشرها لعموم الناس ليسترشد به المهتدي، ويستنير به المتعلم والعامي، وانطلاقا من واجب التبليغ الشرعي، وأداء الأمانة الشرعية في الدعوة إلى الله ونصرة لكتاب الله فقد قام فريق البحث العلمي في مركز تدبر بجهد مبذول في إحياء سنة التدبر والمدارسة التي كانت من سنن السلف مع القرآن، ولا سيَّما موضوع الآيات والحديث عنها له من الأهمية البالغة في واقع الأمة وحالها في ظل الغزو الفكري والحرب الإعلامية على الإسلام وأهله وتشويه معالم الدين، فكان موضوع الاختيار ونقطة الانطلاق في هذا الباب بفضل الله ــتعالىــ من تدبر، وصايا لقمان الحكيم، المسماة باللقمانيات التسع، وقد صورت هذه الآيات بأجمل أسلوب وأروع بيان وأخصر كلام، بحلاوة فائقة وعبارات شيقة، كيف لا؟ وهي تخرج من فِي رجل حاز صفة الحكمة ونال مرتبة رفيعة دون مرتبة النبوة، وقد وصفه الله بذلك، وهذا المنهج الرباني في التعامل والتخاطب تقوم بمثله دراسات ونظريات



من أرباب التخصص بعلم النفس والتربية، كما أنه أسلوب السلف مع أهليهم وذراريهم، حتى إنهم ألّفوا فيه المؤلفات وكتبوا فيه من جملة مما كانوا يكتبونه من الكتابات فنظم بعضهم في ذلك نظمًا في النصح كأبي إسحاق الألبيري بقصيدته المسماة بـ"التائية"، وكتب أبو الوليد الباجي النصيحة الولدية، ومثله الغزالي كتابه المسمى بـ"أيها الولد"، ومن بعده أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه "لفتة الكبد في نصيحة الولد"، وغيرها من المؤلفات التي جمعت جملا من الوصايا و الحكم، والأصل في هذا الباب كلام الرحمن الرحيم، فبين يديك حكم منضودة وخصال في الخير ممدوحة فراعِ بها سمعك، وشنف بها مسمعك وتأملها بقلبك واجعلها حاضرة في حياتك ووجدانك، والله نسأل أن يجعل هذا العمل المعمول، والجهد المبذول في صحيفة أعمالنا إنه على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين.



عملنا ومنهجنا في هذا الكتاب:

إن مركز تدبر الذي يسعى ولله الحمد والمنة وعليه التوفيق والتكلان إلى نشر هدى القرآن، يقوم مذ تأسس على منهجية علمية واضحة في اعتماده على مراتب الأخذ بالقرآن التي هي: التدبر والتدارس والعمل بعد مراتب: الاستماع والتلاوة والحفظ كما هو واضح في الإصدار الأول له والموسوم بالأربعين التدبرية، ثم بنى على ما سبق الخطة العلمية لكل إصدار ككتاب **اللقمانيات التسع** وغيره من الإصدارات التي يُعمل عليها الآن بحول الله وقوته، وكانت مراحل تنفيذ الخطة مرتبة بعد وقوع الاختيار على أي موضوع أن تصدر الآية بعنوان يناسبها ثم يُوضع لها تفسير ميسر لإبانة المعنى وإيضاحه ثم تُستخرج الهدايات والفوائد التدبرية وتستنبط من أكثر من خمسة وثلاثين تفسيراً من كتب التفاسير المعتبرة مع عزو كل فائدة إلى مصدرها، وليست كثرة التفاسير عن تكاثر يُلهي ويُشغل، إنما وقد عُلم أن كل مفسر يركز في تفسيره على الفن الذي يتقنه والصنعة التي يحترفها، فهذا يركز في تفسيره على الجوانب الفقهية كالقرطبي في الجامع وهذا على الجوانب البلاغية كابن عاشور في التحرير والتنوير وهذا في المأثور والمنقول كابن كثير في تفسيره وهذا في المناسبات وربط الآيات كالبقاعي في نظم الدرر... وهكذا، وسيتبين للقارئ الكريم بعون الله في هذا الكتاب جليًا



ما أشرنا إليه من خلال سرد الفوائد والهدايات من كل تفسير على حدة، وإن مما يدلل على ما نقول أيضًا ويبعث فينا أن نعود إلى الإرث العظيم الأصيل الذي خلَّفه لنا مفسرونا رحمهم الله ــتعالىــ أن وصايا لقمان الحكيم والتي نحن بصدد الحديث عنها، جمعنا فيها ولله الحمد مئة وثلاثين فائدة تدبرية من مختلف كتب التفاسير على اختلاف أنواعها واهتماماتها، ولقد روي عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ــمثلًاــ أنه كان يعود في تفسير الآية إلى مئة تفسير أحيانًا وما هذا ــوالله أعلمــ إلا لإغناء مادة الآية، إذا انبرى للحديث عنها، ثم بعد جولة الهدايات والاستنباطات، تأتي المرحلة الأخيرة وهي مرحلة رسائل التزكية والأعمال والتي يؤمل منها أن تكون سبباً في تخلق القارئ الكريم بالآية يراها الناس فيه كما يسمعونها منه مصحفًا يمشي على الأرض، متأسيًا برسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذي كان خلقه القرآن يتأوله، وهذا والله هو الثمرة والغاية والمقصود من نزول القرآن الكريم، وإلا لكان القرآن حجة علينا لا لنا، نسأل الله ﷻ أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وأن يلبسنا به الحلل وأن يسكننا به الظلل وأن يجعله شافعًا قائدًا لنا إلى جنات النعيم والحمد لله رب العالمين.

فريق البحث العلمي لدى مركز تدبر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ
يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١٤ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ
أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا
إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ
فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ
بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ
إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩﴾

بين يدي اللقمانيات

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢ ﴾

التفسير الميسر للآية:

ولقد أعطينا عبدًا صالحًا من عبادنا هو (لقمان) الحكمة، وهي الفقه في الدين وسلامة العقل والإصابة في القول، وقلنا له: اشكر لله نِعَمَه عليك، ومَن يشكر لربه فإنما يعود نَفْع ذلك عليه، ومن جحد نِعَمَه فإن الله غني عن شكره، غير محتاج إليه، له الحمد والثناء على كل حال.

الفوائد والهدايات التدبرية:

١- لما بين الله فساد اعتقادهم بسبب عنادهم بإشراك من لا يخلق شيئا بمن خلق كل شيء بقوله﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ـ﴾ وبين أن المشرك

ظالم ضال، ذكر ما يدل على أن ضلالهم وظلمهم بمقتضى الحكمة وهذا إشارة إلى معنى، وهو أن مقتضى الحكمة اتباع النبي ﷺ لأن ما جاء به كله حكمة وهذا يوافق العقل الصحيح الذي يقدر على تميز الخير والشر، وهذا قد أدركه لقمان بالحكمة دون نبوة، على قول أنه ليس بنبي.(مفاتيح الغيب للرازي:٢٥/ ١١٨) بتصرف.

٢- إذا كانت هذه السورة نزلت بسبب سؤال قريش عن لقمان وابنه فهذه الآيات إلى قوله﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ بمنزلة مقدمة لبيان أن مرمى القرآن من القصة ما فيها من علم وحكمة وهدى وأنها مسوقة للمؤمنين لا للذين سألوا عنها فكان سؤالهم نفعًا للمؤمنين، وفي الإشارة تنبيه على تعظيم قدر تلك الآيات بما دل عليه اسم الإشارة من البعد المستعمل في رفعة القدر، وبما دلت عليه إضافة الآيات إلى الكتاب الموصوف بأنه الحكيم وأنه هدى ورحمة وسبب فلاح. (التحرير والتنوير بتصرف: ٢١/ ١٤٠).

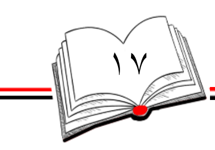
٣-سبحان الله الحكيم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، خَلّد اسم لقمان وربط ذكره بالحكمة التي هي التوفيق للعمل بالعلم، فكل من أوتي التوفيق للعمل بالعلم فقد أوتي الحكمة.(مفاتيح الغيب للرازي: ١١٨/٢٥) بتصرف

٤-إن الحكمة التي أوتيها لقمان، حكمة ربانية، وليست من الحكم المكتسبة التي يحصلها الحكماء والفلاسفة بالبحث والنظر، وإنما هي فضل من فضل الله كالرسالة والنبوة اللتين لا تُكتسبان بتحصيل واجتهاد. (التفسير القرآني للقرآن: ٥٦٤/١١)

٥-الحكمة موافقة العمل للعلم، لأن الإنسان إذا علم أمرين أحدهما أهم من الآخر، فإن اشتغل بالأهم كان عمله موافقا لعلمه وكان حكمة وإن أهمل الأهم كان مخالفا للعلم ولم يكن من الحكمة في شيء. (مفاتيح الغيب للرازي:: ١١٩/٢٥) بتصرف يسير.

٦-الحكمة: العلم بالأحكام ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالمًا ولا يكون حكيمًا فهي مستلزمة للعلم بل وللعمل، ولهذا فُسِّرت بالعلم النافع والعمل الصالح. (تفسير السعدي: ٦٤٨)

٧-كان أول ما لُقِّنَه لقمان من الحكمة هو الحكمة في نفسه بأن أمره الله بشكره على ما هو محفوف به من نعم الله التي منها نعمة الاصطفاء. (التحرير والتنوير: ١٥٢/٢١)



٨–قال في الشكر﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ ﴾ بصيغة المستقبل، وفي الكفران ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ فيه إشارة إلى معنى وإرشاد إلى أمر، وهو أن الشكر ينبغي أن يتكرر في كل وقت لتكرر النعمة، فمن شكر ينبغي أن يكرر والكفر ينبغي أن ينقطع فمن كفر ينبغي أن يترك الكفران. (مفاتيح الغيب للرازي::٢٥/١١٨)

٩–شكر الله هو رأس الحكمة، إذ لا يكون الشكر إلا عن إيمان وثيق بالله وعن رضا مطلق بكل شيء يصيب الإنسان ومن حرم الشكر فقد خلا قلبه من الإيمان. (التفسير القرآني للقرآن بتصرف ١١/ ٥٦٥).

١٠–قال السري السقطي: الشكر ألا نعصى الله بنعمه، وقال الجنيد: ألا ترى معه شريكاً في نعمه، وقيل: هو الإقرار بالعجز عن الشكر، والحاصل أن شكر القلب المعرفة، وشكر اللسان الحمد، وشكر الأركان الطاعة، ورؤية العجز في الشكر دليل قبول الكل. (مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: ٢/٧١٤)

١١–﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ وهذا توجيه قرآني ضمني إلى شكر الله اقتداء بذلك الرجل الحكيم المختار الذي يعرض قصته وقوله، وإلى

جوار هذا التوجيه الضمني توجيه آخر، فشكر الله إنما هو رصيد مذخور للشاكر ينفعه هو والله غني عنه، فالله محمود بذاته ولو لم يحمده أحد من خلقه ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ. وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (في ظلال القرآن: ٥/٢٧٨٧)

١٢–قال تعالى هنا: ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ ﴾بتقديم الشكر على الكفران، وقال في سورة الروم: ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ (الروم: ٤٤) ، فنقول هناك كان الذكر للترهيب لقوله تعالى من قبل ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ (الروم: ٤٣) ، و هاهنا الذكر للترغيب، لأن وعظ الأب للابن يكون بطريق اللطف والوعد، وقوله: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا ﴾ يحقق ما ذكرنا أولًا لأن المذكور في سورة الروم لما كان بعد اليوم الذي لا مرد له تكون الأعمال قد سبقت فقال بلفظ الماضي

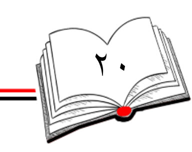
﴿ وَمَنْ عَمِلَ ﴾ وهاهنا لما كان المذكور في الابتداء قال ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ ﴾ بلفظ المستقبل.(مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/١١٩)

١٣-الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور وحبه له واعترافه بنعمته والثناء عليه بها وألا يستعملها فيما يكره، هذه الخمسة هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فإن عدم منها واحدة اختلّت قاعدة من قواعد الشكر. (محاسن التأويل للقاسمي: ٨/٢٨)

١٤-قرن القرآن الكريم الشكر بالإيمان وجعلهما على كفتي ميزان سواء بسواء، فقال تعالى ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢)، وقال ﷻ:﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة: ١٥٢)، (التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٦٥)

١٥-﴿ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ فغناه تعالى من لوازم ذاته، وكونه حميدًا في صفات كماله حميدًا في جميل صنعه من لوازم ذاته، وكل واحد من الوصفين صفة كمال واجتماع أحدهما إلى الآخر زيادة كمال إلى كمال.(تفسير السعدي: ٦٤٨)

رسائل التزكية والأعمال:



- ❖ إن آتاك الله الحكمة أو وصفك الناس بالحكيم فاشكر ربك؛ لأن الحكيم ينسب الفضل لأهله.
- ❖ شكرك المنعم سبحانه سبب في دوام النعم عليك كما أن جحدها سبب في زوالها، فالحكيم من يعرف الخير فيتبعه ويحذر الشر فيجتنبه.
- ❖ احرص على طلب الحكمة من الله سبحانه، فهي محض فضل آتاه الله لعبده الصالح
- ❖ الحكمة تستدعي العمل بموجبها، وفي الشكر إشارة للعمل والتطبيق، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ (سبأ:١٣).
- ❖ في الآية إشارة للاهتمام بصاحب الحكمة وتكريمه، ولذلك ذكر باسمه.





اللقمانية الأولى: عدم الشرك بالله

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ ﴾

التفسير الميسر للآية:

واذكر أيّها الرسول نصيحة لقمان لابنه حين قال له واعظًا: يا بنيَّ لا تشرك بالله فتظلم نفسك؛ إنَّ الشرك لأعظم الكبائر وأبشعها.

الفوائد والهدايات التدبرية:

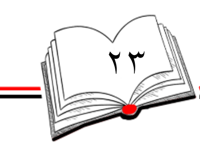
١٦–ولما كان الإنسان لا يعرف حكمة الحكيم إلا بأقواله وأفعاله، ولا صدق الكلام وحكمته إلا بمطابقته للواقع، فكان التقدير: اذكر ما وصفنا به لقمان لتنزل عليه ما تسمع من أحواله وأفعاله في توفية حق الله وحق الخلق الذي هو مدار الحكمة، عطف عليه قوله:﴿ وَإِذْ ﴾ أي واذكر بقلبك لتتعظ وبلسانك لتعظ غيرك. (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦١)

١٧-عطف على معنى ما سبق وتقديره آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكرًا في نفسه وحين جعلناه واعظًا لغيره وهذا لأن علو مرتبة الإنسان بأن يكون كاملًا في نفسه ومكملًا لغيره فقوله ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ إشارة إلى الكمال وقوله ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴾ إشارة إلى التكميل. (مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/ ١١٩)

١٨-وهو إذ كان حكيمًا إذ آمن بالله وشكر له، فإنه كان حكيمًا كذلك إذ نفع بهذه الحكمة أقرب الناس إليه، وآثرهم عنده وهو ابنه فدعاه إلى الإيمان بالله، وإلى إخلاء قلبه من الشرك، حتى يلحق بأبيه، ويكون من الشاكرين لله. (التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٦٥)

١٩-وفي ظل نصيحة الأب لابنه يعرض للعلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق ويصور هذه العلاقة صورة موحية فيها انعطاف ورقة، ومع هذا فإن رابطة العقيدة مقدمة على تلك العلاقة الوثيقة. (في ظلال القرآن: ٥/٢٧٨٨)

٢٠-﴿ يا بنيَّ ﴾ تصغير التحبيب والتقريب والشفقة، ومثله في يوسف لما خاطب أباه بقوله ﴿ يَا أَبَتِ ﴾، وفيه إظهار الطواعية



والبر والتنبيه على محل الشفقة بطبع الأبوة، خاطبه أبوه بقوله: ﴿ يا بنيَّ ﴾ للتحبيب والشفقة..(البحر المحيط في التفسير: ٦/٢٣٨) بتصرف

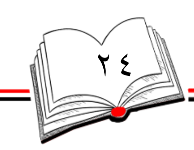
٢١-﴿ يا بنيَّ ﴾ فخاطبه بأحب ما يخاطب به، مع إظهار الترحم والتحنن والشفقة ليكون ذلك أدعى لقبول النصح.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦١)

٢٢-ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله، لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال.(التحرير والتنوير: ٢١/١٥٥)

٢٣-ثم إنه في الوعظ بدأ بالأهم وهو المنع من الإشراك. (مفاتيح الغيب للرازي ٢٥/ ١١٩).

٢٤-يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف. (تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٠).

٢٥-الظلم وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه ويقال على التجاوز عن الحق قليلاً كان التجاوز أو كثيراً ولهذا يستعمل في الذنب الصغير والكبير. (التفسير المظهري: ٧/٢٥٥)



٢٦- ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ووجه كونه عظيمًا، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئًا بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!(تفسير السعدي: ٦٤٨).

٢٧-﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾في الحديث المأثور أنه لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ (الانعام: ٨٢) ، أشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾فسكن إشفاقهم. (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٤٨/٤)

٢٨-لأنّ التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصوّر أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه. (الكشاف للزمخشري: ٤٩٤/٣)

٢٩-﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾تعليل للنهي عنه وتهويل لأمره،

فإنه ظلم لحقوق الخالق وظلم المرء لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم، وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها. (التحرير والتنوير: ٢١/١٥٥)

٣٠-جمع لقمان في هذه الموعظة أصول الشريعة وهي: الاعتقادات والأعمال وأدب المعاملة وأدب النفس. (التحرير والتنوير: ٢١/ ١٥٤)

٣١-في هذا تنبيه لقريش وكل سامع على أن هذه وصية لا يعدل عنها، لأنها من أب حكيم لابن محنو عليه محبوب وأن آباءهم لو كانوا حكماء ما فعلوا إلا ذلك، لأنه يترتب عليها ما عليه مدار النعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية العاجلة والآجلة وهو الأمن والهداية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. (الأنعام ٨٢)، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦٢)

٣٢-في هذا لطيفة وهي أن الله ذكر لقمان وشكر سعيه حيث أرشد ابنه ليُعلَم منه فضيلة النبي عليه السلام الذي أرشد الأجانب والأقارب فإن إرشاد الولد أمر معتاد، وأما تحمل المشقة في تعليم الأباعد فلا. (مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/١١٩)

٣٣-إنها لعظة غير متهمة فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحًا وهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك الذي هو ظلم عظيم، ويؤكد هذه الحقيقة مرتين، مرة بتقديم النهي وفصل علته، ومرة بإنّ واللام، وهذه هي الحقيقة التي يعرضها محمد صلى الله عليه وسلم على قومه فيجادلونه فيها ويشكون في غرضه من وراء عرضها ويخشون أن يكون وراءها انتزاع السلطان منهم والتفضل عليهم! فما القول ولقمان الحكيم يعرضها على ابنه و يأمره بها؟ والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة، بعيدة من كل ظنة، ألا إنها الحقيقة القديمة التي تجري على لسان كل من آتاه الله الحكمة من الناس يراد بها الخير المحض ولا يراد بها سواه، وهذا هو المؤثر النفسي المقصود. (في ظلال القرآن: ٥/٢٧٨٨)

رسائل التزكية والأعمال:

❖ المدرسة وحدها لا تُغني عنك في توجيه ابنك وتربيته.

قدم في وعظك الأهم على المهم وفق قاعدة الأولويات التي أقرها الشرع، كما جاء في توجيه نبي الهدى ﷺ لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى أهل اليمن فقال له: «**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى**

شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». (صحيح مسلم كتاب الإيمان: ١/ ٥٠).

- ❖ ناقش مع أبنائك خطر الشرك والسحر والشعوذة والدجل فظلم النفس في إضلالها عن سبيل الله.
- ❖ ركز في كلامك مع أبنائك حول عظمة الخالق وقدرته وضرورة صرف العبادة له وحده.
- ❖ علل وبين أسباب ما تأمر به؛ ليكون محل قبول لدى المتلقي، فلقمان نهى ولده: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ ثم بين له السبب: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فلا تلغ عقل ولدك.



اللقمانية الثانية: بر الوالدين

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١٤﴾

التفسير الميسر للآية:

وأَمَرْنا الإنسان ببرِّ والديه والإحسان إليهما، حَمَلَتْه أمه ضعفًا على ضعف، وحمله وفِطامه عن الرضاعة في مدة عامين، وقلنا له: اشكر لله، ثم اشكر لوالديك، إليَّ المرجع فأُجازي كُلا بما يستحق.

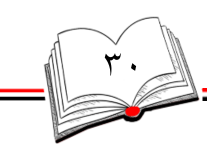
الفوائد والهدايات التدبرية:

٣٤-جاءت هاتان الآيتان معترضتين وصية لقمان لابنه، وذلك لتكتمل بها الحكمة التي كان من أولى ثمراتها وأطيبها شكر الخالق المنعم، ثم تكون الثمرة الثانية وهي شكر الوالدين وذلك ببرهما والإحسان إليهما. (التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٦٦)

٣٥- ولما ذكر سبحانه وتعالى ما أوصى به ولده من شكر المنعم الأول الذي لم يشركه في إيجاده أحد وذكر ما عليه الشرك من الفظاعة والشناعة و البشاعة أتبعه سبحانه وصيته للولد بالوالد لكونه المنعم الثاني المتفرد سبحانه بكونه جعله سبب وجود الولد اعترافاً بالحق وإن صغر لأهله وإيذاناً بأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس وتفخيماً لحق الوالدين لكونه قرن عقوقهما بالشرك وإعلامًا بأن الوفاء شيء واحد متى نقص شيء منه تداعى سائره ولذلك لفت الكلام إلى مُظهر العظمة ترهيبًا من العقوق ورفعًا لما لعله يتوهم من أن الانفصال عن الشرك لا يكون إلا بالإعراض عن جميع الخلق.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦٣)

٣٦-مناسبة هذا الكلام أنه لما قص وصاية لقمان لابنه بما هو شكر الله بتنزيهه عن الشرك في الإلهية بيّن الله أنه تعالى أسبق منة على عباده إذ أوصى الأبناء ببر الآباء فدخل في العموم المنة على لقمان جزاء على رعيه لحق الله في ابتداء موعظة ابنه فالله أسبق بالإحسان إلى الذين أحسنوا برعي حقه ويقوي هذا التفسير اقتران شكر الله وشكر الوالدين في الأمر. (التحرير والتنوير: ٢١/١٥٦)

٣٧- وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم وفي وصايا رسول



الله ﷺ ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلًا ومعظمها في حالة الوأد وهي حالة خاصة في ظروف خاصة ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه، فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشئ لضمان امتداد الحياة كما يريدها الله وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، في غير تأفف ولا شكوى بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان، بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان. فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة، فأما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولّى الذاهب في أدبار الحياة بعد ما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة، وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما. (في ظلال القرآن: ٥/٢٧٨٨)

٣٨-﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ وذكر الإنسان بهذا الذكر في سورة الحكمة إشارة إلى أنه أتم الموجودات حكمة، قال الرازي في آخر سورة الأحزاب من لوامعه: الموجودات كلها كالشجرة والإنسان ثمرتها وهي

كالقشور والإنسان لبابها وكالمبادئ والإنسان كمالها. (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦٦)

٣٩-ذكر الله هذا لتأكيد ما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بتعميم النهي في الأشخاص والأحوال لئلا يتوهم متوهم أن النهي خاص بابن لقمان أو ببعض الأحوال فأخبر الله أن الله أوصى بذلك كل إنسان وأن لا هوادة فيه ولو في أحرج الأحوال وهي حال مجاهدة الوالدين أولادهم على الإشراك. (التحرير والتنوير: ٢١/١٥٦)

٤٠-وصية الله للإنسان بوالديه هي أمر وعزيمة وتكليف إذ كثيرا ما ينكر الإنسان هذا الحق الذي لوالديه عليه. (التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٦٦)

٤١-لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة قريبة منها في الصورة بين أنها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله في بعض الصور مثل خدمة الأبوين ثم بين السبب فإنه لله على العبيد ابتداء خلقهم ورزقهم فيما بعد، فقال ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ﴾ أي صارت بقدرة الله سبب وجوده وفصاله في عامين أي صارت بقدرته أيضًا سبب بقائه فإذا كان منها ما له صورة الوجود والبقاء وجب عليه ما له شبه العبادة من الخدمة فإن الخدمة لها صورة العبادة. (مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/ ١٢٠) بتصرف.

٤٢- وفي قوله تعالى:﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ إشارة إلى أخفى لون في الصورة التي نبت منها الولد، ونشأ في حجر والديه، وإلفات للولد إلى هذا الخيط الواهي من الحياة التي كانت له والتي أمسكت به الأم نطفة ثم علقة ثم ما زالت تمسك بهذا الخيط في حرص و حذر و تفرز له من عصارة حياتها ما يزيده على الأيام قوة ونماء حتى تفتق عنه رحمها وليداً طفلًا ثم ما زالت به تحمله بين يديها وتضمه إلى صدرها وترضعه من لبنها حتى يفطم ويرفع فمه عن هذا الينبوع الذي يمتص منه رحيق الحياة؛ ليستقبل بعد هذا ما يمده به والداه من طعام حتى يشب ويكبر ويستطيع أن يسعى سعيه في الحياة، إنها رحلة استمرت نحو عامين قطعها هذا الإنسان دائرا في فلك أمه بين حمل ورضاعة. (التفسير القرآني للقرآن: ١١/ ٥٦٧).

٤٣-وهذه الآية أدخل الله ﷻ الأم في رتبة الوصية بالوالدين ثم خصص الأم بدرجة ذكر الحمل ودرجة ذكر الرضاع فتحصل للأم ثلاث مراتب وللأب واحدة. (تفسير ابن عطية: ٤/ ٣٤٨)

ولعل هذه الهداية تتناسب ووصيةَ النبي ﷺ للسائل عن أحقية حسن الصحبة فأشار إلى أمه ثلاثًا ولهذا قال بعض أهل العلم: ينبغي أن يكون من البر للأم ثلاثة أضعاف الأب والله أعلم. (الفريق العلمي–مركز تدبر)

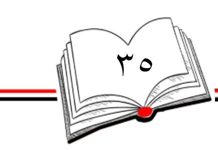
٤٤–﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾ التنبيه عدة مرات على حق الأم بالذات وفضلها على الولد هو من أعظم الأدلة على تكريم الإسلام للمرأة والأمر بحفظها وصيانتها خاصة إن كانت أمًّا لأن الإنسان يتجرَّأ عادة على الضعيف وأضعفُ الأبوين الأم ولذلك ذكرها وخصها بالعناية.(الفريق العلمي– مركز تدبر)

٤٥– قوله: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾ في موضع التعليل للوصاية بالوالدين قصدًا لتأكيد تلك الوصاية، لأن تعليل الحكم يفيده تأكيدًا ولأن في مضمون هذه الجملة ما يثير الباعث في نفس الولد على أن يبر بأمه ويستتبع البر بأبيه، وإنما وقع تعليل الوصاية بالوالدين بذكر أحوال خاصة بأحدهما وهي الأم؛ اكتفاء بأن تلك الحالة تقتضي الوصاية بالأب أيضًا للقياس فإن الأب يلاقي مشاقّ وتعبًا في القيام على الأم لتتمكن من الشغل بالطفل في مدة حضانته، ثم هو يتولى

تربيته والذب عنه حتى يبلغ أشده ويستغني عن الإسعاف، كما قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(الإسراء: ٢٤) ، فجمعهما في التربية في حال الصغر مما يرجع إلى حفظه وإكمال نشأته، فلما ذكرت هنا الحالة التي تقتضي البر بالأم من الحمل والإرضاع كانت منبهة إلى ما للأب من حالة تقتضي البر به على حساب ما تقتضيه تلك العلة في كليهما قوة وضعفًا ولا يقدح في القياس التفاوت بين المقيس والمقيس عليه في قوة الوصف الموجب للإلحاق، وقد نبه على هذا القياس تشريكهما في التحكم عقب ذلك بقوله أن اشكر لي ولوالديك، وقوله وصاحبهما في الدنيا معروفًا، وحصل من هذا النظم البديع قضاء حق الإيجاز. (التحرير والتنوير: ٢١/١٥٨).

٤٦-﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾و التعبير ب ﴿ فِي ﴾ مشير إلى أن الوالدين لهما أن يفطماه قبل تمامهما على حسب ما يحتمله حاله وتدعو إليه المصلحة من أمره. (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦٥)

٤٧-﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي ﴾ على نعمة الإيمان، ﴿ وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ على نعمة التربية. (البحر المحيط في التفسير: ٨/٤١٤)



٤٨-﴿ اشْكُرْ لِي ﴾ بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وألا تستعين بنعمي على معصيتي.(تفسير السعدي: ٦٤٨)

٤٩-قدم شكر الله على شكر الوالدين، لأن الله ﷻ هو الخالق وحده، وإذا كان للوالدين شيء هنا فهو لله أيضًا فما هما إلا من خلق الله وما هما إلا أداة من الأدوات العاملة بقدرة الله و بأمره، ومع هذا فإن ذلك عمل من عملهما يجزيهما الله عليه وهو حق لله جعله الله لهما على أبنائهما فضلًا منه سبحانه وإحسانًا (التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٦٨)

٥٠-وفي جعل الشكر لهما مقترنًا بالشكر لله: دلالة على أن حقهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدها وجوبًا (فتح القدير للشوكاني: ٤/ ٢٧٤).

٥١-قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في دبر الصلوات فقد شكرهما. (تفسير ابن عطية: ٤/ ٣٤٩).

٥٢-ومن حق كل ذى فضل أن يشكر ويحمد من أحسن إليه، وفي المأثور: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**». (التفسير القرآني للقرآن: ١١/ ٥٦٦).

٥٣-﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ ثم بين الفرق وقال ﴿ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ يعني نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي في الدنيا والآخرة، فإن إليّ المصير أو نقول لما أمر بالشكر لنفسه وللوالدين قال الجزاء عليّ وقت المصير إلي.(مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/١٢٠)

٥٤-﴿ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ إشارة إلى أن الله ﷻ له كلّ شيء في هذا الإنسان الذي ولد لهذين الأبوين، وأن هذه المشاركة التي تبدو للوالدين في إيجاد الولد ليست إلا مشاركة ظاهرية؛ إن أعطت الوالدين حقّ الإحسان إليهما، والبرّ بهما، فلن تعطيهما حقّ العبادة على نحو ما كان عليه معتقد أولئك الضالين الذين يعبدون أصولهم من آباء وأجداد.(التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٦٨)

٥٥- إلى الله مصيرك أيها الإنسان وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك وعما كان من شكرك لوالديك وبرك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفولتك وصباك وما اصطنعا إليك في برهما بك وتحننهما عليك. (تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٨)

٥٦-﴿ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ توعد أثناء الوصية. (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/٣٤٩)

رسائل التزكية والأعمال

❖ إن كنت أبًا فإن كمال تربيتك أن توصي ابنك ببر أمه وتشعره أن برها مقدم على برك.

❖ والداك وصية الله فاحفظها.

❖ اعلم أيها الابن أن جميع ما تقدمه لوالديك في حياتهما وبعد رحيلهما شكر فقط لقديم إحسانهما إليك فعمرك كله لا يكفي لأن تكون متفضلًا.

❖ أدِّ اليوم أحد الأعمال المنزلية التي تتولاها أمك حتى تعرف صبرها وفضلها.

❖ بادر قبل أن تغادر، فأنت لا محالة إلى الله صائر، وسائلك عن الصغائر والكبائر.



اللقمانية الثالثة: لا طاعة في معصية

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥﴾

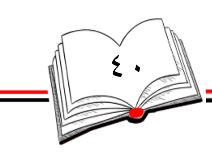
التفسير الميسر للآية:

وإن جاهدك أيها الولد المؤمن والداك على أن تشرك بي غيري في عبادتك إياي مما ليس لك به عِلم، أو أمراك بمعصية مِن معاصي الله فلا تطعهما لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا بالمعروف فيما لا إثم فيه، واسلك أيها الابن المؤمن طريق مَن تاب من ذنبه، وارجع إليَّ وآمن برسولي محمد صلى الله عليه وسلم ثم إليَّ مرجعكم فأخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا وأجازي كلَّ عامل بعمله.

الفوائد والهدايات التدبرية:

٥٧-أمر في الآية الأولى بالإحسان إليهما وبالبر لهما والطاعة ثم بين أن لا في كل أمر يطاعان ولا في جميع ما يأمران ويسألان يجابان إنما يطاعان ويجابان فيما يؤذن لهما ويباح لهما لا فيما لا يؤذن ولا يباح بحال بل يؤمر بالخلاف لهما واعتقاد المعاداة فضلا أن يطاعا ويجابا إلى ما يدعوان أو يأمران، وكذلك ذكر في الخبر: «**أن لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق**.» وإنما أمر بحسن المصاحبة لهما والمعروف فيما لم يكن في ذلك معصية الخالق حيث قال:﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾.(تفسير الماتريدي :٨/٣٠١)

٥٨- والآية تعلمنا أن رابطة الوالدين بالوليد على كل هذا الانعطاف وكل هذه الكرامة إنما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة، فبقية الوصية للإنسان في علاقته بوالديه ﴿ وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما﴾ فإلى هنا ويسقط واجب الطاعة وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة، فمهما بذل الوالدان من جهد ومن جهاد ومن مغالبة ومن اقناع ليغرياه بأن يشرك بالله ما يجهل



ألوهيته وكل ما عدا الله لا ألوهية له فتُعلم، فهو مأمور بعدم الطاعة من الله صاحب الحق الأول في الطاعة.(في ظلال القرآن: ٥/٢٧٨٨)

٥٩-والمجاهدة: شدة السعي والإلحاح، والمعنى: إن ألحا وبالغا في دعوتك إلى الإشراك بي فلا تطعهما، وهذا تأكيد للنهي عن الإصغاء إليهما إذا دعوا إلى الإشراك. (التحرير والتنوير: ٢١/ ١٦٠)

٦٠-﴿ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي ﴾ وأشار بأداة الاستعلاء إلى أنه لايجوز موافقة الوالدين على الشرك ولو باللفظ، ومهما تمكنا من أسباب الدنيا الفاتنة، والموافقة لهما على الشرك ولو لفظاً ليست من الإحسان في شيء.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦٧) بتصرف.

٦١-﴿ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ إشارة إلى أنه لا يمكن أن يدل علم من أنواع العلوم على شيء من الشرك بنوع من أنواع الدلالات، بل العلوم كلها دالة على الوحدانية على الوجه الذي تطابقت عليه العقول وتظافرت عليه من الأنبياء والرسل النقول، وأما الوجه الذي سماه أهل الإلحاد بمذهب الاتحاد توحيدًا فقد كفى في أنه ليس به علم إطباقهم على أنه خارج عن طور العقل مخالف لكل ما ورد عن الأنبياء من نقل.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦٧)

٦٢-لم يقل:﴿ وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (فعقهما) بل قال: ﴿ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾ أي: بالشرك، وأما برهما فاستمر عليه. (تفسير السعدي: ٦٤٨).

٦٣-فلما قرر ذلك على هذا المنوال البديع، قال مسببًا عنه: ﴿ فَلا تُطِعْهُما﴾ أي في ذلك ولو اجتمعا على المجاهدة لك عليه، بل خالفهما وإن أدى الأمر إلى السيف فجاهدهما به، لأن أمرهما بذلك مناف للحكمة حامل على محض الجور والسفه، ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط في التقليد لآبائهم في ذلك. (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦٧)

٦٤-ولما كان هذا قد يفهم الإعراض عنهما رأسًا في كل أمر إذا خالفا في الدين، أشار إلى أنه ليس مطلقًا فقال: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا﴾ أي في أمورها التي لا تتعلق بالدين ما دامت حياتهما. (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٦٧)

٦٥-وذكر ﴿ فِي الدُّنْيَا﴾ لتهوين أمر الصحبة والإشارة إلى أنها في أيام قلائل وشيكة الانقضاء فلا يضر تحمل مشقتها لقلة أيامها وسرعة انصرامها. (تفسير الألوسي: ١١/ ٨٦).

٦٦-﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ وهو إطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما وعيادتهما إذا مرضا ومواراتهما إذا ماتا، وغير ذلك من أعمال البر وهذا في حق الأبوين الكافرين، فكيف بهما إذا كانا مسلمَين؟!(البحر المحيط في التفسير: ٨/٤١٤) بتصرف.

٦٧-والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق. (تفسير القرطبي: ١٤/ ٦٥).

٦٨-﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ صاحبهما بجسمك فإن حقهما على جسمك واتبع سبيل النبي عليه السلام بعقلك، فإنه مربي عقلك كما أن الوالد مربي جسمك.(مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/١٢٠)

٦٩-اتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن فيما يرضي الله ويقرب منه. (تفسير السعدي: ٦٤٨)

٧٠-﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ وفي هذا حث على معرفة الرجال بالحق وأمر بحكِّ المشايخ وغيرهم على محكِّ الكتاب والسنة، فمن كان عمله موافقًا لها اتبع ومن كان عمله مخالفًا لهما اجتنب..(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٧٠)

٧١-﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ قطع لهذا الجدل، وذلك الخلاف حول الإيمان والشرك فيما يدور بين الابن وأبويه وإحالة هذا الخلاف إلى الله ﷻ ليحكم فيه ويجزى كلّا بما عمل.(التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٧٠)

٧٢-لإرادة التعميم قال معبرًا بالمصدر الميمي الدال على الحدث وزمانه ومكانه ﴿ مَرْجِعُكُمْ ﴾ حسًا ومعنى، فأكشف الحجاب ﴿ فَأُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي أفعل فعل من يبالغ في التنقيب والإخبار عقب ذلك وبسببه. (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٧٠)

٧٣-﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي تجددون عمله من صغير وكبير وجليل وحقير، وما كان في جبلاتكم مما لم يبرز إلى الخارج، فأجازي من أريد وأغفر لمن أريد، فأعد لذلك عدته، ولا تعمل عمل من ليس له مرجع يحاسب فيه، ويجازي على مثاقيل الذر من أعماله، ولعله عبر

عن الحساب بالتنبئة؛ لأن العلم بالعمل سبب للمجازاة عليه.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٧٠)

رسائل التزكية والأعمال

❖ اتبع سبيل من أناب إلى الله ﷻ من العلماء الربانيين ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾.

❖ اتخذ وصية نبيك ﷺ قاعدة هامة في حياتك « **لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف** ». (صحيح البخاري: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام:٩/٨٨)

❖ أيها الابن: لن تجد أوفى وأجمل من صحبة الوالدين.

❖ أيها الابن: العمر كله مساحة للبر فبادر واغتنم وإن فاتك شيء فاستدرك، تأمل كلمة ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا﴾.

❖ تعرف على صفة حلم الله، فقد يجتهد الأبوان في دعوة ولدهما للكفر بالله والله يوصي ولدهما بهما.



اللقمانية الرابعة: رقابة الله

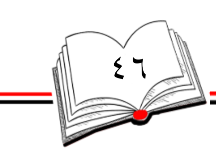
﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦ ﴾

التفسير الميسر للآية:

يا بنيَّ: اعلم أن السيئة أو الحسنة إن كانت قَدْر حبة خردل، وهي المتناهية في الصغر، في باطن جبل أو في أي مكان في السماوات أو في الأرض؛ فإن الله يأتي بها يوم القيامة ويحاسِب عليها، إن الله لطيف بعباده خبير بأعمالهم.

الفوائد والهدايات التدبرية:

٧٤- حذرت الآية السابقة من أعظم خطر يتهدد الإنسان ويقضي عليه وهو الشرك بالله، وفي هذه الآية يكشف لقمان لابنه عن علم الله وبسطة سلطانه حتى يعبده عن علم به ومعرفة بما ينبغي له من



كمال وجلال، فهو الذي يستحق وحده أن يُعبد، وهو المالك لهذا الوجود، العالم بكل صغيرة وكبيرة فيه، حتى الحبة من الخردل، التي هي من الصغر بحيث لا تكاد تمسك بها الأصابع، لو كانت في أي مكان في هذا الوجود، يأت بها الله ويخرجها من هذه الأعماق السحيقة في أحشاء الكون. (التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٧٠)بتصرف

٧٥–ولما فرغ من تأكيد ما قاله لقمان عليه السلام في الشكر والشرك فعلم ما أوتي من الحكمة وختمه بعد الوصية بطاعة الوالد بذكر دقيق الأعمال وجليلها وأنها في علم الله سواء، حسن جدًا الرجوع إلى تمام بيان حكمته، فقال بادئًا بما يناسب ذلك من دقيق العلم ومحيطه المكمل لمقام التوحيد وعبر بمثقال الحبة لأنه أقل ما يخطر غالبًا بالبال، وهي من أعظم حاث على التوحيد الذي مضى تأسيسه.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٧١)

٧٦–مناسبة الآية لما قبلها، أن الله ﷻ لما قال﴿ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾كأنه وقع لابنه أن ما يفعل في خفية يخفى، فقال بعدها ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا ﴾، أي الحسنة والسيئة إن كانت في الصغر مثل حبة



خردل، وتكون مع ذلك الصغر في موضع حريز كالصخرة لا تخفى على الله.(مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/ ١٢٠)

٧٧–كأن لقمان سأله ابنه سؤالًا، فكان هذا جوابه، والسؤال إما الأول: عن علم الله ــتعالىــ فيكون الجواب: ما مِن حبة مستترة مكنونة في أخفى الأمكنة عن الخلق إلا و﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ أي: يعلمها اللَّه وبالتالي يلزمهم أن يكونوا مراقبين أعمالهم وأحوالهم في جميع أمورهم، الثاني: عن قدرة اللَّه وسلطانه، فأخبره أن اللَّه تعالى قادر على استخراج تلك الحبة التي استترت واحتجبت عن الخلق بالحُجُب التي ذكر: ما يعجز الخلائق عن استخراج مثلها، عندها يخافون قدرة اللَّه ويهابون سلطانه في الانتقام منهم في مخالفة أمره ونهيه، الثالث: عن الرزق فيخبر بهذا أن الشيء وإن كان في مكان لا يبلغه وسع البشر وحيلهم في استخراج ذلك منه والوصول إليه بحال، فاللَّه ﷻ بلطفه يرزق الخلق بأشياء خارجة عن وسعهم وحيلهم ليكونوا أبدًا في كل حال مطمئنين في الرزق، وألا يعلقوا قلوبهم بالأسباب التي بها يكتسبون، الرابع: عن جزاء ما يعمل المرء من قليل أو كثير، فيخبر أنه يجزي بقليل العمل وكثيره، وفي النهاية، عن أي شيء كان السؤال،

ففي الآية دلالة وحدانية اللَّه ودلالة علمه وتدبيره ودلالة قدرته وسلطانه ودلالة الثقة به والتوكل عليه في الرزق والتفويض في الأمر في كل ما خرج عن وسع الخلق، واللَّه أعلم. (تفسير الماتريدي: ٨/ ٣٠٤-٣٠٥) بتصرف

٧٨-في إعادة النداء ﴿ يَا بُنَيَّ ﴾ فوائد:

- منها: تجديد نشاط السامع لوعي الكلام وفي ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد
- منها :ألا يتوهم متوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا. (مفاتيح الغيب للرازي: ٢٨/٩٣)

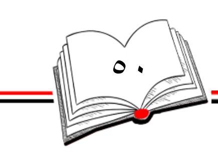
٧٩-اجتماع المؤكدات الثلاث، النداء ﴿ يَا بُنَيَّ ﴾، و﴿ إِنَّ ﴾، وضمير القصة في قوله:﴿ إِنَّهَا ﴾ والتقدير: إن القصة أو الحادثة ﴿ إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴾ لبيان عظم خطر ما بعدها المفيد تقرير وصفه تعالى بالعلم المحيط بجميع المعلومات من الكائنات، ووصفه بالقدرة المحيطة بجميع الممكنات بقرينة قوله: ﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ ، وقد أفيد ذلك بطريق دلالة الفحوى فذكر أدق الكائنات حالا من حيث تعلق العلم والقدرة به، وذلك أدق الأجسام المختفي في أصلب

مكان أو أقصاه وأعزه منالا، أو أوسعه وأشده انتشارا، ليعلم أن ما هو أقوى منه في الظهور والدنو من التناول أولى بأن يحيط به علم الله وقدرته..(التحرير والتنوير: ٢١/١٦٢) بتصرف

٨٠–هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه، كما روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: « **لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان** ». (تفسير ابن كثير: ٦/٣٠٢)

٨١–﴿ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴾ ذكر كثير من المفسرين أنه أراد الأعمال: المعاصي و الطاعات، ويؤيد ذلك قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ أي لا تفوت، وبهذا المعنى يتحصل في الموعظة ترجية وتخويف منضاف ذلك إلى تبيين قدرة الله سبحانه وتعالى.(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/٣٥٠)

٨٢–قوله: ﴿ فَتَكُنْ ﴾ بالفاء لإفادة الاجتماع، يعني إن كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية في موضع حَرِيزٍ، كالصخرة لا تخفى على الله لأن الفاء للاتصال بالتعقيب. (مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/١٢٠) بتصرف يسير.



٨٣–قوله تعالى: ﴿ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ ﴾ الآية، من البديع الذي يسمى التتميم. فإنه تمم خفاءها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة.
(محاسن التأويل للقاسمي: ٨/٣١)

٨٤–قوله: ﴿ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ ﴾ لو قيل: الصخرة لا بد من أن تكون في السماوات أو في الأرض فما الفائدة في ذكرها؟

الجواب من عدة أوجه:

- أحدها ما قاله الزمخشري: أن هذا فيه إضمار تقديره فتكن في صخرة أو في موضع آخر في السماوات أو في الأرض.
- الثاني: أن نقول: تقديم الخاص وتأخير العام في مثل هذا التقسيم جائز وتقديم العام وتأخير الخاص غير جائز، أو نقول: خفاء الشيء يكون بطرق منها أن يكون في غاية الصغر ومنها أن يكون بعيدًا، ومنها أن يكون في ظلمة، ومنها أن يكون من وراء حجاب، فإن انتفت الأمور بأسرها بأن يكون كبيرًا قريبًا في ضوء من غير حجاب فلا يخفى في العبادة، فأثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط، فقوله: ﴿ إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ إشارة إلى الصغر،

وقوله: ﴿ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ ﴾ إشارة إلى الحجاب، وقوله: ﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ إشارة إلى البعد فإنها أبعد الأبعاد، وقوله: ﴿ أَوْ فِي الْأَرْضِ ﴾ إشارة إلى الظلمات، فإن جوف الأرض أظلم الأماكن.(مفاتيح الغيب للرازي: ١٢١/٢٥) بتصرف يسير.

٨٥-﴿ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ ولما أخفى وضيق، أظهر ووسع، ورفع وخفض، ليكون أعظم لضياعها لحقارتها، فقال: ﴿ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ أي في أيّ مكان كان منها على سعة أرجائها وتباعد أنحائها.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٧٢/١٥)

٨٦-﴿ أَوْ فِي السَّماواتِ ﴾ في ذلك الكيان الهائل الشاسع الذي يبدو فيه النجم الكبير ذو الجرم العظيم نقطة سابحة أو ذرة تائهة.(في ظلال القرآن: ٢٧٨٩/٥)

٨٧-وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ أبلغ من قول القائل: يعلمها الله. لأن من يظهر له الشيء ولا يقدر على إظهاره لغيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشيء ويظهره لغيره فقوله تعالى:﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ أي يظهرها الله للإشهاد. (مفاتيح الغيب للرازي: ١٢١/٢٥) بتصرف يسير.

٨٨-قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ ينفذ علمه وقدرته في كل شيء، ﴿ خَبِيرٌ ﴾ يعلم كنه الأشياء فلا يعسر عليه. (محاسن التأويل للقاسمي: ٨/٣٠)

٨٩- قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ تعقيب يناسب المشهد الخفي اللطيف، ويظل الخيال يلاحق تلك الحبة من الخردل في مكامنها تلك العميقة الوسيعة ويتملى علم الله الذي يتابعها، حتى يخشع القلب وينيب إلى اللطيف الخبير بخفايا الغيوب وتستقر من وراء ذلك تلك الحقيقة التي يريد القرآن إقرارها في القلب بهذا الأسلوب العجيب. (في ظلال القرآن: ٥/٢٧٨٩)

٩٠-المقصود من الآية الكريمة، غرس الهيبة والخشية والمراقبة لله ـتعالىـ؛ لأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء في هذا الكون مهما دق وقل وتخفى في أعماق الأرض أو السماء. (الوسيط لطنطاوي: ١١/١٢١)

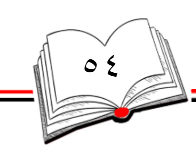
رسائل التزكية والأعمال:

❖ **احذر** ذنوب الخلوات فثمة فرق كبير بين من يراقب الخلق وبين من يراقب الخالق سبحانه وتعالى.

❖ أيها المربي: ارسم في ذهن ابنك صورة بديعة لغرس مبدأ قدرة الله تأسيًا بلقمان الحكيم.

❖ ﴿ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ ما أحوجك أن تفهم معاني أسماء الله ﷻ وأن تتعبد بها وأن تعرض حياتك وأعمالك عليها.





اللقمانية الخامسة: الصلاة

﴿قوله تعالى يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ١٧﴾

التفسير الميسر للآية:

يا بنيَّ أقم الصلاة تامة بأركانها وشروطها وواجباتها، وأْمر بالمعروف وانْه عن المنكر بلطفٍ ولينٍ وحكمة بحسب جهدك، وتحمَّل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، واعلم أن هذه الوصايا مما أمر الله به من الأمور التي ينبغي الحرص عليها.

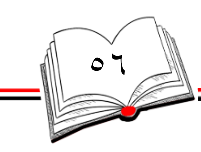
الفوائد والهدايات التدبرية:

٩١-مناسبة الآية لما قبلها أن لقمان لما منع ولده من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته، أمره بما يلزمه من التوحيد، وهو الصلاة. (مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/١٢١)

٩٢–ولما نهاه أولًا عن الشرك وأخبره ثانيًا بعلمه تعالى وباهر قدرته، أمره بما يتوسل به إلى الله من الطاعات، فبدأ بأشرفها وهو الصلاة حيث يتوجه إليه بها. (البحر المحيط في التفسير: ٨/٤٠٥)

٩٣–انتقل من تعليمه أصول العقيدة إلى تعليمه أصول الأعمال الصالحة فابتدأها بإقامة الصلاة، فهي عماد الأعمال لاشتمالها على الاعتراف بطاعة الله وطلب الاهتداء للعمل الصالح. (التحرير والتنوير: ٢١/١٦٤)

٩٤–بعد أن كشف لقمان لابنه عن قدرة الله وعلمه وحكمته دعاه إلى عبادته حتى إذا عبده كانت عبادته عن علم ومعرفة بمن يعبد، وذلك مما يعطي العبادة مفهومًا صحيحًا، فيخشع لها القلب وتسكن بها الجوارح وتنتعش بها المشاعر، أما العبادة التي لا تقوم على علم فهي كالزرع الذي لا يقوم على سوق أو جذور، والصلاة هي رأس العبادات في كل شريعة وهي عمود الدين في كل دين، ولهذا كان مقامها هنا هو المقام الأول ﴿ يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ ﴾. (التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٧١)



٩٥-﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ ﴾ وذلك لأن الصوم والرياضات لإصلاح الطبيعة وتحسين الأخلاق وأما الصلاة فلإصلاح النفس التي هي مأوى كل شر ومعدن كل هوى وما عُبِدَ إله أبغض إلى الله من الهوى.(تفسير الطبري: ٧/٨٢)

رسائل التزكية والأعمال:

- عوّد نفسك بأن تخاطب أهلك وأولادك ومن حولك بألطف كلمة وبأحب الأسماء إليهم، قال ﷺ من أنت؟ قال: أنا زيد الخيل قال :ﷺ بل زيد الخير.
- إقامتك الصلاة: أن تحافظ على أوقاتها وأركانها وواجباتها وسننها.
- اضطراب فؤادك وانشغال نفسك وهم قلبك ... علاجه في الفزع إلى الصلاة.
- أيها الأب: إقامتك الصلاة في بيتك تجعلك قدوة عند أولادك من صغرهم فيتأسون بك ويقلدونك.
- ذكِّر من تراهم جالسين في الطرقات وقت الصلاة بأداء الصلاة.



اللقمانية السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

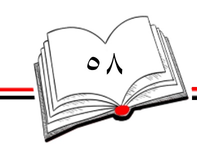
﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ١٧﴾

التفسير الميسر للآية:

يا بنيَّ أقم الصلاة تامة بأركانها وشروطها وواجباتها، وأْمر بالمعروف وانْه عن المنكر بلطفٍ ولينٍ وحكمة بحسب جهدك، وتحمَّل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر.

الفوائد والهدايات التدبرية:

٩٦-قال تعالى ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ أي إذا كملت أنت في نفسك بعبادة الله فكمل غيرك، فإن شغل الأنبياء وورثتهم من العلماء هو أن يكملوا في أنفسهم و يكملوا غيرهم.(مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥/ ١٢١).



٩٧-ثم جاء بعد ذلك ما تعطيه الصلاة من ثمر، وهو إصلاح كيان الإنسان وتنقيته من الشوائب والأدران، فيصبح رسولًا كريمًا من رسل الهدى والخير في الناس، حيث ائتمر بالمعروف وانتهى عن المنكر، وهذا ما يدعوه إلى أن يكون داعيًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، إن لم يكن بلسانه فبعمله وبما يجد الناس فيه من الأسوة الطيبة والقدوة الصالحة! فمن ائتمر بالمعروف وانتهى عن المنكر كان أشبه بالمرآة الصقيلة، يرى الناس عليها وجه الخير والإحسان، فيتمثلونه ويتخذونه قدوة لهم.

(التفسير القرآني للقرآن: ١١/ ٥٧١).

رسائل التزكية والأعمال:

- ❖ يستحب لك تعليم أبنائك الإصلاح وآدابه مع تعليمهم الصلاة.
- ❖ أمرك ونهيك يدلان على فاعليتك وإيجابيتك وإرادتك الخير لأمتك فاحرص عليهما.
- ❖ حضَّ على تغيير المنكر وإن نالك ضرر.



اللقمانية السابعة: الصبر

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ١٧﴾

التفسير الميسر للآية:

يا بنيَّ أقم الصلاة تامة بأركانها وشروطها وواجباتها، وأْمر بالمعروف وانْه عن المنكر بلطفٍ ولينٍ وحكمة بحسب جهدك، وتحمَّل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر.

الفوائد والهدايات التدبرية:

٩٨-ولما أمر بتكميله في نفسه توفية لحق الحق، عطف على ذلك تكميله لنفسه بتكميل غيره توفية لحق الخلق وذلك أنه لما كان الناس في هذه الدار سفرًا وكان المسافر إن أهمل رفيقه حتى أخذ أوشك أن يؤخذ هو أمره بما يكمل نجاته بتكميل رفيقه وإن كان من جلب



المصالح، لأنه يستلزم ترك المنكر، و أما ترك المنكر فلا يستلزم فعل الخير، فإنك إذا قلت: لا تأت منكرًا، لم يتناول ذلك في العرف إلا الكف عن فعل المعصية، لا فعل الطاعة فقال: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي كل من تقدر على أمره تهذيباً لغيرك شفقة على نفسك بتخليص أبناء جنسك، ولما كانت هذه الدار سفينة لسفر من فيها إلى ربهم وكانت المعاصي مفسدة لها، وكان فساد السفينة مغرقًا لكل من فيها: من أفسدها ومن أهمل المفسد ولم يأخذ على يده، وكان الأمر بالمعروف نهيًا عن المنكر صرح به فقال: ﴿ وَانْهَ ﴾ أي كل من قدرت على نهيه ﴿ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ حبًا لأخيك ما تحب لنفسك تحقيقًا لنصيحتك وتكميلًا لعبادتك لأنه ما عبد الله أحد ترك غيره يتعبد لغيره، لأنه أمره أولًا بالمعروف وهو الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فإذا أمر نفسه ونهاها، ناسب أن يأمر غيره وينهاه، وهذا وإن كان من قول لقمان عليه السلام إلا أنه لما كان في سياق المدح له كنا مخاطبين به، ولما كان القابض على دينه في غالب الأزمان كالقابض على الجمر، لأنه يخالف المعظم فيرمونه عن قوس واحدة لا سيما أن أمرهم ونهاهم

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ ﴾ صبرًا عظيمًا بحيث يكون مستعليًا ﴿ عَلَى مَا ﴾ أي الذي، وحقق بالماضي أنه لا بد من المصيبة ليكون الإنسان على بصيرة، فقال: ﴿ أَصَابَكَ ﴾ أي في عبادتك من الأمر بالمعروف وغيره سواء كان بواسطة العباد أو لا كالمرض ونحوه، وقد بدأ هذه الوصية بالصلاة وختمها بالصبر لأنهما ملاك الاستعانة ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (البقرة: ٤٥) واختلاف المخاطب في الموضعين أوجب اختلاف الترتيبين، المخاطب هنا مؤمن متقلل، وهناك كافر متكثر. (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٧٥)

٩٩–وجه تعقيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بملازمة الصبر: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد يجران للقائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذى من بعضهم، فإذا لم يصبر على ما يصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوشك أن يتركهما. (التحرير والتنوير: ٢١/١٦٥)

١٠٠-يقتضي حضًا على تغيير المنكر وإن نال ضررًا فهو إشعار بأن المغير يؤذى أحيانًا، وهذا القدر هو على جهة الندب والقوة في ذات الله، وأما على اللزوم فلا.(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/٣٥١)

١٠١- ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ من الأذى، فإن الحياة مليئة بالشدائد والمحن والراحة إنما هي في الجنة فقط.(الوسيط للطنطاوي: ١١/١٢٢)

١٠٢-الإسلام يدعو إلى الصبر دعوة مؤكدة ليبرز أهميته، حيث يستدعيه عند كل عظيمة، ويهتف به عند كل أمر ذي شأن، ففي ميدان القتال لا عدّة للمؤمن أعظم ولا أقوى من الصبر ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال : ٤٦) ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (آل عمران : ١٢٥) ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(العصر : ١ ــ ٢)

إنه لا عاصم للإنسان من الخسران إلا أن يعتصم بالإيمان والصبر، والصبر: مع أنه مطلوب في كل حال فإن الحاجة إليه أشد والطلب له أقوى وألزم حين يواجه المرء ما يكره من عواقب الأمور فهنا يكون الإنسان أمام امتحان قاس لإيمانه بربه وتوكله عليه وتفويض أمره كله إليه فإن لم يجد من الصبر ما يمسك عليه إيمانه ويقيم وجهه على الرضا والتسليم لله، استبدّ به الجزع وقتله الهمّ ووقعت بينه وبين ربه غيوم من التهم والظنون، وهذه أول مزالق الشرك والكفر بالله.(التفسير القرآني للقرآن: ١١/٥٧١-٥٧٢)

١٠٣-﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ أي من الأمور الواجبة التي أمر الله بها، وهي من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها.(تفسير البغوي: ٣/٥٨٩)

١٠٤-﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مرارًا من الإشعار ببعد منزلته في الفضل. (تفسير أبي السعود: ٧/٧٣)

١٠٥-﴿ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ :هذا هو طريق العقيدة المرسوم: توحيد لله وشعور برقابته، وتطلع إلى ما عنده وثقة في عدله وخشية من عقابه، ثم انتقال إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم وأمرهم

بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والتزود قبل ذلك كله للمعركة مع الشر، بالزاد الأصيل، زاد العبادة لله والتوجه إليه بالصلاة، ثم الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله من التواء النفوس وعنادها وانحراف القلوب وإعراضها، ومن الأذى الذي تمتد به الألسنة وتمتد به الأيدي، ومن الابتلاء في المال والنفس.(في ظلال القرآن: ٥/٢٧٩٠)بتصرف يسير

١٠٦–أمره بإقامة الصلاة وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصيبة، ووجه تخصيص هذه الطاعات: أنها أمهات العبادات وعماد الخير كله.(فتح القدير للشوكاني: ٤/٢٧٢)

١٠٧–ناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأمورا بها في سائر الأمم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها. (الكشاف للزمخشري: ٣ / ٤٩٦).

رسائل التزكية والأعمال:

❖ احفظ وصية نبيك ﷺ : «**ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر.**» (صحيح البخاري: باب الصبر عن محارم الله:٨/٩٩) واعلم أن مما يزيد في صبرك قراءة سيرة نبيك ﷺ وقصص إخوانه من الأنبياء و المرسلين.

❖ طريق الأمر والنهي طريق الآلام، فاصبر على ما أصابك.

❖ صلاتك إصلاح لنفسك وفي أمرك ونهيك إصلاح للأمة وهما يحتاجان لصبرك ومجاهدة نفسك.

❖ كن من أولي العزم بصلاتك وأمرك ونهيك وصبرك.

❖ قال سفيان الثوري رحمه الله: (لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به عالم بما ينهى عنه) (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر الخلال: ٥٠).



اللقمانية الثامنة : التواضع

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ١٨﴾

التفسير الميسر للآية:

ولا تُمِلْ وجهك عن الناس إذا كلَّمتهم أو كلموك احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم، ولا تمش في الأرض بين الناس مختالا متبخترًا، إن الله لا يحب كل متكبر متباه في نفسه وهيئته وقوله.

الفوائد والهدايات التدبرية:

١٠٨- لما كان من آفات العبادة لاسيما الأمر والنهي، لتصورهما بصورة الاستعلاء، الإعجاب إلى الكبر، قال محذرًا من ذلك معبرًا عن الكبر بلازمه، لأن نفي الأعم نفي للأخص، منبعًا على أن المطلوب في الأمر والنهي اللين لا الفظاظة والغلظة الحاملان على النفور، قال ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ ﴾(نظم الدرر في تناسب الآيات و السور: ١٥ / ١٧٦)

١٠٩-يستطرد لقمان في وصيته التي يقصها القرآن هنا إلى أدب الداعية إلى الله، فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير، ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل.(في ظلال القرآن: ٥/٢٧٩٠)

١١٠- في نهيه له عن التكبر والتعالي على الناس أمر له بالضد فكأنه يقول له: أقبل عليهم متواضعًا مؤنسًا مستأنسًا، وإذا حدثك أصغرهم فأصغ إليه حتى يكمل حديثه. (تفسير القرطبي: ١٤/٧٠)

١١١- في الآية معنى التدابر فيمن صعر خده، فالتدابر الإعراض وترك الكلام والسلام ونحوه، وإنما قيل للإعراض تدابر لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك، وكذلك يصنع هو بك، ومن أحببته أقبلت عليه بوجهك وواجهته لتسره ويسرك وفي الحديث: «**لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**» (صحيح البخاري: باب الهجرة:٨/٢١)، (تفسير القرطبي: ١٤/٧٠)

١١٢ـ لما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التي لا تذم، أشار إلى المقصود بقوله تعالى ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ بلام العلة، أي لا تفعل ذلك لأجل الإمالة عنهم، وذلك لا يكون إلا تهاونًا بهم من الكبر، بل أقبل عليهم بوجهك كله مستبشرًا منبسطًا من غير كبر و لا علو، وأتبع ذلك ما يلزمه فقال ﴿ وَلَا تَمْشِ ﴾ولما كان في أسلوب التواضع وذم الكبر، ذكره بأن أصله تراب، وهو لا يقدر أن يعدوه فقال ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ وأوقع المصدر موقع الحال أو العلة فقال ﴿ مَرَحًا﴾ أي اختيالاً وتبختراً، أي لا تكن منك هذه الحقيقة لأن ذلك مشي أشر وبطر وتكبر، فهو جدير بأن يظلم صاحبه ويفحش ويبغي، بل امش هونًا فإن ذلك يفضي بك إلى التواضع، فتصل إلى كل خير، فترفق بك الأرض إذا صرت فيها حقيقة بالكون في بطنها.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٥/١٧٧)

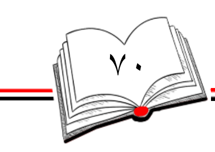
١١٣ ـ لما كان حب الله الذي يلزمه حب الناس محبوبًا للنفوس، وكان فوات المحبوب أشق على النفوس من وقوع المحذور، وكانت (لا) لا تدخل إلا على المضارع المستقبل قال ﴿ لا يُحِبُّ ﴾ أي فيما يستقبل من الزمان، ولو قال (يبغض) لاحتمل التقييد بالحال فقط، ثم قال

﴿ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ أي مراء للناس في مشيه تبخترًا يرى له فضلًا على الناس فيشمخ بأنفه، وذلك فعل المرح ﴿ فَخُورٍ ﴾يعدد مناقبه، وذلك فعل المصعر، لأن ذلك من الكبر الذي تردى به سبحانه وتعالى فمن نازعه إياه قصمه. (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٥/١٧٧)

١١٤ـ في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ ﴾ إشارة إلى أن صاحب الكبر والتيه كما يلقى الكراهية والنفور من الناس، فإنه يلقى البغض من الله والبعد عن مواقع رضاه، لأن الكبر مفتاح كل رذيلة وباب كل شر وضلال، وما أتي المشركون الذين تحدّوا رسالة الإسلام وعموا عن مواقع الهدى منها إلا من كبرهم وعجبهم بأنفسهم وبما زينت لهم أهواؤهم.(التفسير القرآني للقرآن ١١/٥٧٣)

١١٥ـ انتقل لقمان بابنه إلى الآداب في معاملة الناس فنهاه عن احتقار الناس وعن التفاخر عليهم، وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس وعد نفسه كواحد منهم.(التحرير والتنوير: ٢١/١٦٦)

١١٦ـ استدل بعض أهل العلم بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ على منع الرقص وتعاطيه، لأن فاعله ممن يمشي مرحًا.(أضواء البيان: ٣/١٥٧)



١١٧ـ أنت أيها المتكبر المختال ضعيف حقير عاجز محصور بين جمادين، أنت عاجز عن التأثير فيهما، فالأرض التي تحتك لا تقدر أن تؤثر فيها فتخرقها بشدة وطئك عليها، والجبال الشامخة فوقك لا يبلغ طولك طولها، فاعرف قدرك ولا تتكبر ولا تمش في الأرض مرحاً. (أضواء البيان: ٣/١٥٦)

رسائل التزكية والأعمال:

❖ لا تتكبّر على الناس فالله أكبر، ولا تعبِس في وجوههم فنبيّك ﷺ كان لا يُرى إلّا مُتبسّمًا متواضعًا، وكان يقول: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** » (**صحيح مسلم**: باب استحباب العفو والتواضع:٤/٢٠٠١)

❖ يقول أحد العلماء: لا يكفي أن تشعر بالتواضع في داخلك حتى تتأكد من طرد ملامح الكبْر من مظهرك.



اللقمانية التاسعة : القصد في المشي و الغض من الصوت

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩﴾

التفسير الميسر للآية:

وتواضع في مشيك واخفض من صوتك فلا ترفعه، إن أقبح الأصوات وأبغضها لصوت الحمير المعروفة ببلادتها وأصواتها المرتفعة.

الفوائد والهدايات التدبرية:

١١٨- لما كان النهي عن ذلك أمرًا بأضداده، وكان الأمر بإطلاق الوجه يلزم منه الإنصاف في الكلام، وكان الإنصاف في الكلام والمشي لا على طريق المرح والفخر ربما دعا إلى الاستماتة في المشي والحديث أو الإسراع في المشي والسر والجهر بالصوت فوق الحد، قال محترسًا في الأمر بالخلق الكريم عما يقارب الحال الذميم:﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٧٨)

١١٩-قيل:﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ إشارة إلى الأفعال، ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ إشارة إلى الأقوال، فنبه على التوسط في الأفعال وعلى الإقلال من فضول الكلام. (البحر المحيط في التفسير: ٨/ ٤١٧)

١٢٠-قوله تعالى:﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ أنقص منه، فلا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي، والمراد بذلك كله التواضع، وقد قال عمر رضي الله عنه لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته:« لقد خشيت أن ينشق مريطاؤك» والمؤذن هو أبو محذورة سمرة بن معير، والمريطاء: ما بين السرة إلى العانة.(تفسير القرطبي: ١٤/٧١)

١٢١-غض الصوت أوفر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه، ثم عارض ممثلًا بصوت الحمير على جهة التشبيه، أي تلك هي التي بعدت عن الغض فهي أنكر الأصوات، فكذلك كل ما بعد عن الغض من أصوات البشر فهو في طريق تلك.(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/٣٥١)

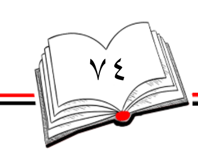
١٢٢-قال ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لو كان رفع الصوت هو خيرًا ما جعله للحمير.(تفسير الطبري: ١٤٧/٢٠)

١٢٣- قوله: ﴿ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ أضيف الصوت وهو واحد إلى الحمير وهي جماعة، وفيه وجهان:

❖ الأول: الصوت بمعنى الجمع، كما قيل: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾.

❖ الثاني: إن معنى الحمير: معنى الواحد، لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدي عما يؤدي عنه الجمع.(تفسير الطبري: ١٤٧/٢٠)

١٢٤-الحمار مَثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه، ومن استفحاش العرب لذكره مجردًا وتفاديهم من اسمه : أنهم يكنون عنه و يرغبون عن التصريح به، فيقولون: الطويل الأذنين، كما يكنى عن الأشياء المستقذرة، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، مبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان.(الكشاف للزمخشري: ٤٩٨/٣)



١٢٥- الغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق، والأسلوب القرآني يرذل هذا الفعل ويقبحه في صورة منفرة محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ فيرتسم مشهد مضحك يدعو إلى الهزء والسخرية مع النفور والبشاعة، ولا يكاد ذو حس يتصور هذا المشهد المضحك من وراء التعبير المبدع.(في ظلال القرآن: ٥/٢٧٩٠)

١٢٦- ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ فيه مسائل:

❖ المسألة الأولى: لمَ ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي؟ إن كان المشي والصوت كلاهما موصلان إلى شخص مطلوب إن أدركه بالمشي إليه فذاك، وإلا فيوقفه بالنداء، وبالتالي فرفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة، وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن وأما السرعة في المشي فلا تؤذي، أو إن كانت تؤذي فلا تؤذي غير من في طريقه، والصوت يبلغ من على اليمين والشمال، ولأن المشي يؤذي آلة المشي، والصوت يؤذي آلة

السمع وآلة السمع على باب القلب، فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب والمشي ليس كذلك، وإن قلنا: الإشارة بالمشي والصوت إلى الأفعال والأقوال، فلأن القول قبيحه أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان ترجمان القلب والاعتبار يصحح الدعوى.

❖ المسألة الثانية: كيف يفهم كونه أنكر مع أنه يوجد أصوات منكرة جدًا مثل مس المنشار بالمبرد وحت النحاس بالحديد فهو أشد تنفيرًا؟

الجواب من وجهين:

- الأول: أن المراد أن أنكر أصوات الحيوانات صوت الحمير.
- الثاني: أن ما ذكرتم في أكثر الأمر لمصلحة وعمارة فلا ينكر، بخلاف صوت الحمير.

❖ المسألة الثالثة: أنكر هو أفعل التفضيل فمن أي باب هو؟

نقول يحتمل أن يكون من باب أفعل كأشغل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر، أو نقول هو من باب أشغل مأخوذًا من نكر الشيء فهو منكر، وهذا أنكر منه، وعلى هذا فله معنى لطيف، وهو

أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو غير ذلك، والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح، وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق فصوته منكور.(مفاتيح الغيب للرازي: ١٢٣/٢٥)

١٢٧–هذه الآية أدب من الله ﷻ بترك الصياح في وجوه الناس تهاونًا بهم، أو بترك الصياح جملة، وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتًا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل، حتى قال شاعرهم:

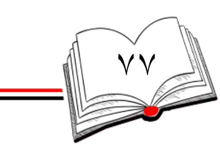
جهير الكلام جهير العطاس ... جهير الرواء جهير النعم

ويعدو على الأين عدوى الظليم ... ويعلو الرجال بخلق عمم

فنهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الجاهلية بقوله: ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أي لو أن شيئا يهاب لصوته لكان الحمار، فجعلهم في المثل سواء.(تفسير القرطبي: ٧٢/١٤)

رسائل التزكية والأعمال:

❖ أكثر ما سيلحظه الناس فيك من خلال تصرفات جوارحك (مشيك وكلامك) فتفطن.

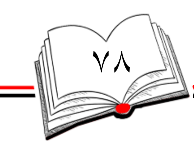


❖ تكلم بصوت منخفض ولا تكن صخّابًا مزعجًا.

❖ القرآن يضبط نبرة صوتك وطريقة مشيك ويربّيك على آدابه وأخلاقه، فأقبل عليه وتمسك بهديه.

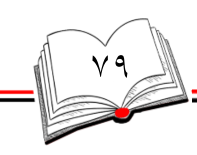
❖ تعرف على شمائل نبيك الكريم ﷺ في صورته وسيرته وسريرته، حيث كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن.





خاتمة اللقمانيات

١٢٨- هذه الوصايا التي وصى بها لقمان ابنه، تجمع أمهات الحكم وتستلزم ما لم يذكر منها وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمرًا وإلى تركها إن كانت نهيًا، وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام وحِكَمِها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك وبيَّن له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين وبين له السبب الموجب لبرهما وأمره بشكره وشكرهما ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية ومع ذلك فلا يعقهما بل يحسن إليهما وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك، وأمره بمراقبة الله وخوَّفه القدوم عليه وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر إلا أتى بها، ونهاه عن التكبر وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك، وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر الذين يسهل بهما كل أمر كما قال تعالى، فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا أن يكون مخصوصًا بالحكمة مشهوراً بها، ولهذا من منة



الله عليه وعلى سائر عباده أن قص عليهم من حكمته ما يكون لهم به أسوة حسنة.(تفسير السعدي: ٦٤٨)

١٢٩–لقد دعت هذه الآيات إلى معالي الأخلاق، وهي أمهات الفضائل الثلاث: الحكمة والعفة والشجاعة، وأمرت بالعدل فيها، ونهت عن مساوئ الأخلاق والتي هي مبدأ الرذائل الحاصل بالإفراط والتفريط، فإقامة الصلاة التي هي روح العبادة المبنية على العلم هي سر الحكمة، والنهي أمر بالشجاعة ونهى عن الجبن، وفي النهي عن التصعير وما معه نهي عن التهور، والقصد في المشي والغض في الصوت أمر بالعفة ونهي عن الاستماتة والجمود والخلاعة والفجور.(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥/١٨٠)

١٣٠–بتنفيذ هذه الوصايا، يسعد الأفراد وترقى المجتمعات.(الوسيط لطنطاوي: ١١/١٢٣)







المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

❖ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري

المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي

المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر

الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)

الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

❖ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول ﷺ

المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)

المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي

الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

❖ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار

بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)

الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت –لبنان

عام النشر: ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ مـ

❖ البحر المحيط في التفسير

المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)

المحقق: صدقي محمد جميل

الناشر: دار الفكر -بيروت

الطبعة: ١٤٢٠ هـ

❖ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»

المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)

الناشر: الدار التونسية للنشر -تونس

سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

❖ التسهيل لعلوم التنزيل

المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي

الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)
المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي
الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم -بيروت
الطبعة: الأولى -١٤١٦ هـ

❖ التفسير القرآني للقرآن
المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)
الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة

❖ التفسير المظهري
المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله
المحقق: غلام نبي التونسي
الناشر: مكتبة الرشدية -الباكستان
الطبعة: ١٤١٢ هـ

❖ التفسير الموضوعي ١
المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية
الناشر: جامعة المدينة العالمية

❖ التفسير الوسيط للقرآن الكريم

المؤلف: محمد سيد طنطاوي

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة –القاهرة

الطبعة: الأولى

❖ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)

تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش

الناشر: دار الكتب المصرية –القاهرة

الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤ م

❖ الدر المنثور

المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)

الناشر: دار الفكر – بيروت

الطبعة: الأولى -١٤٢٢ هـ

❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)

المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد

الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت

❖ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
المؤلف: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن
المحقق: صفوان عدنان داوودي
الناشر: دار القلم –الدار الشامية
سنة النشر: ١٤١٥ –١٩٩٥

❖ الكتاب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)
تحقيق: الدكتور يحيي مراد
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

❖ أنوار التنزيل وأسرار التأويل
المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)
المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي
الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت



الطبعة: الأولى -١٤١٨ هـ

❖ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز

المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)

المحقق: محمد علي النجار

الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

❖ تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم

المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)

الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

❖ تفسير الفاتحة والبقرة

المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)

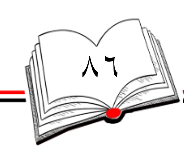
الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية

الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

❖ تفسير القرآن العظيم

المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)

المحقق: سامي بن محمد سلامة



الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع

الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م

❖ تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)

المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)

المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان

الناشر: دار ومكتبة الهلال -بيروت

الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ

❖ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)

المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)

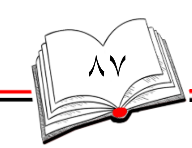
المحقق: د. مجدي باسلوم

الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان

الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

❖ تفسير الماوردي = النكت والعيون

المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)



المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم

الناشر: دار الكتب العلمية —بيروت، لبنان

❖ تفسير مجاهد

المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)

المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل

الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر

الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ -١٩٨٩ م

❖ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)

المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق

الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

❖ جامع البيان في تأويل القرآن

المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)

المحقق: أحمد محمد شاكر

الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

❖ دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية

المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)

المحقق: د. محمد السيد الجليند

الناشر: مؤسسة علوم القرآن -دمشق

الطبعة: الثانية، ١٤٠٤

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)

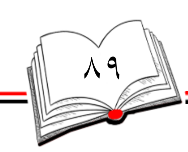
المحقق: علي عبد الباري عطية

الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

❖ زاد المسير في علم التفسير

المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)

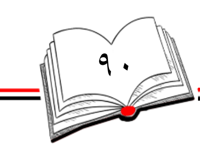


المحقق :عبد الرزاق المهدي
الناشر :دار الكتاب العربي – بيروت
الطبعة :الأولى -١٤٢٢ هـ

❖ فتح القدير
المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)
الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت
الطبعة: الأولى -١٤١٤ هـ

❖ في ظلال القرآن
المؤلف: سيد قطب إبراهيم
دار النشر: دار الشروق ـ القاهرة

❖ لسان العرب
المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)
الناشر: دار صادر -بيروت
الطبعة: الثالثة -١٤١٤ هـ



❖ محاسن التأويل

المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)

المحقق: محمد باسل عيون السود

الناشر: دار الكتب العلميه -بيروت

الطبعة: الأولى -١٤١٨ هـ.

❖ مختصر تفسير البغوي (معالم التنزيل)

المؤلف: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد

الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع -الرياض

الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ

❖ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين

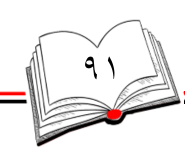
المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)

المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي

الناشر: دار الكتاب العربي -بيروت

الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م

❖ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير



المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)

الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت

الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

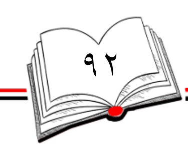
❖ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور

المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)

الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

عدد الأجزاء: ٢٢





الفهرس

المحتويات


tdboor.syria@gmail.com
مركز تدبر
0090 539 8916 040